التفكيكية: بين التنظير والممارسة

د/ سمية فالق: جامعة عباس لغرور –خنشلة–

ملخص :

التفكيكية من المذاهب النقدية المعاصرة ،هدفها التشكيك في النصوص.أسس هذا المذهب جاك ديريدا والذي يعتمد في مذهبه على آلية التفكيك في تقويض النصوص،وتشريح الخطابات،سواء أكانت أدبية أم فلسفية.وما يهم ديريدا في القراءات التي تحاول إقامتها:ليس النقد من الخارج،وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص،والعثور على تناقضات داخلية، يقرأ النص من خلالها نفسه ويفكك نفسه بنفسه وفق تتبع حركة مرجعية،لا يرجع فيها النص إلى ذاته،لوجود قوى متنافرة تأتي لتقويضه وتجزئته. التفكيكية–إذن–انطلقت من مجموعة من الإرهاصات الفلسفية،حيث اشتغل ديريدا على الميتافيزيقيا الغربية،والتي كان ثورة عليها في تمجيد ها للعقل والمنطق بهدف الوصول إلى جوهر الحقيقة.فهدفه معارضة منطق الثبات والمناداة بفلسفة الغياب.وعليه تمكن ديريدا من أن يحول أطروحة التفكيك من صور نقدية إلى صور فلسفية.

الكلمات المفتاحية: آلية التفكيك، جاك دريردا، تقويض النصوص، الميتافيزيقيا.

LE Résumé :

La déconstruction est l'un des courants critiques contemporains qui remet en question les textes. Jaques Derrida a fondé ce courant en se basant sur le mécanisme de la décomposition des textes et de l'autopsie des discours littéraires ou philosophiques. De part les lectures établies, Derrida s'oppose à toute critique externe, s'intéressant de prime à bord à un positionnement interne dans une structure textuelle hétérogène permettant de déceler les contradictions d'un texte qui se lit, qui se décompose lui-même selon un mouvement référentiel non tourné sur le texte en tant que tel en présence de forces répulsives le détruisant et le segmentant.

Mot clés : Déconstruction,Mécanisme de la Décomposition, Jaques Derrida, Métaphysique.

توطئة :

شهدت الساحة النقدية الفرنسية حركة نقدية جديدة ،اتسمت بالثورة على كل التقاليد الفكرية التي كانت موجودة،كالبنيوية التكوينية، والأسلوبية والبلاغة الجديدة،والبنيوية اللسانية ، والتيار السيميوطيقي ... هذه الحركة تهدف إلى خلخلة النص الأدبي ، بهدف الكشف عن جوهره ، والبحث عن نسقه الداخلي .

ولم تظهر التفكيكية مع **جاكديريدا** إلا بمثابة رد فعل على البنيوية اللسانية ،ويعني هذا أن التفكيكية باعتبارها فلسفة التقويض الهادف ،والبناء الإيجابي . فقد جاءت لتعيد النظر في فلسفة البنيات والثوابت .ولتنتقد _أيضا _المقولات المركزية التي ورثها الفكر الغربي من عهد **أفلاطون** إلى الستينات من القرن العشرين ،وهي فترة ظهور التفكيكية مع **جاكديريدا** .[1]

إن ولادة التفكيكية هي ولادة لمنهجية جديدة في المقاربة الفلسفية والأدبية ،تقوض الأنظمة المعرفية والفلسفية واللغوية والأدبية . فإذا كانت اتخذت منحى فلسفيا في الغرب مع **جاكديريدا** ،مع مجموعة من الفلاسفة الأوروبيين ،فلقد انتهجت منحى أدبيا في القراءة والتأويل مع الثقافة الأنجلوسكسونية بهدف تفكيك النقد الجديد.إن التفكيكية هي رد فعل تجاه البنيوية ، حتى أنها خرجت من عباءتها ،وهو رأي يحدده د .عبد العزيز حمودة حين يتحدث عن العلاقة بين التفكيكية والبنيوية فيقول :" إن التفكيكيين ،الأوروبيين والأمريكيين على السواء ،خرجوا من عباءة البنيوية ، لا نستخدم – هذا القول – هنا بمعناه المجازي ليشير إلى علاقة أو علاقات وثيقة بين المنظورين لكنه في حقيقة الأمر يحمل معنى حرفيا وليس مجازيا ، فالتفكيكيون فعلا خرجوا من عباءة البنيوية لأن غالبيتهم بدأو حياتهم كبنيويين . وحينما فشل المشروع البنيوي في تحقيق طموحاتهم في تقديم مشروع متكامل للتحليل تمردوا على البنيوية .بعضهم تحول إلى التحليل النفسي مثل **لاكان** ، وآخرون تحولوا إلى الفلسفة ، وفلسفة اللغة ،مثل **ديريدا** ...."[2].

إذا:ماهي التفكيكية ؟ ما هي أصولها ومرتكزاتها ؟ كيف أسس **جاكديريدا**الإستراتجيةالتفكيك ؟ ما هي الإشكالات التي تطرحها التفكيكية ؟ من هم روادها وكيف حالها بين كتابات النقاد الغربيين والنقاد العرب ؟وفيما تمثلت إشكالاتها ؟وصولا إلى التفكيكية بين التنظير والممارسة .

---

[1]–كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق،ترجمة :رعد عبد الجليل جواد ،دار الحوار ،سوريا ط1، 1992م، ص 2.

[2]–عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة من البنيوية إلى بالتفكيكية ،عالم المعرفة ، الكويت ، د ط،نيسان ،1998م،ص ص 318،319

1- التفكيكية : المفهوم والمصطلح :

ظهر مصطلح التفكيك **Déconstruction** لأول مرة في كتاب "علم الكتابة " **DELAGRAMMATOLOGIE** لصاحبه **جاكديريدا**[1] متأثرا بمصطلح التفكيك لدى **مارتنهيدجر HEIDEGGER** في كتاب "الكينونة والزمان " . فمعنى كلمة التفكيك عند ديريدا ترد بالمفهوم نفسه عند **هايدجر** .

التفكيكية للنص تعني :"خلخلة وتفكيك لكل المعاني التي تستمد منشأها من اللوغوس ،وبالخصوص معنى الحقيقة ".[2] بهذا التصور تعني التفكيكية تجاوز للمدلولات الثابتة عن طريق خلخلة وتفكيك كل معاني النص من أجل إعادة بناءها وتركيبها ،وتقويض المقولات المركزية ، وتصحيح المفاهيم ،وفضح الأوهام السائدة .

فالتفكيكية بهذا الفهم تفتيت لشفرات النص إلى بنية أجزائه المكونة وفق رؤية إبداعية جديدة تستهدف الكشف عن المعاني الغائبة التي تعطي للنص شرعيته في ضوء الأنساق الجديدة . وعليه يرد مصطلح التفكيك عند **ديريدا** بمفهومه الإيجابي بعيدا عن النفي ،والرفض ، والتشتيت ، والتقويض كما في فلسفة نتشه .

أما إذا أجرينا مقارنة بين التفكيك في فلسفة **ديريدا** ، والتفكيك البنيوي والسيميائي ،فلا يراد منه سوى تشريح النص ،وتحديد بنياته العميقة ، لاستخلاص القواعد المجردة التي تتحكم في توليد النصوص ،باحتكامها إلى الفعل والمنطق واللغة .في حين تفكيك **ديريدا** هو من هدم المقولات الثابتة والتشكيك في فعاليتها الفلسفية .

من هذا المنطلق ، نقول أن التفكيك البنيوي والسيميائي تفكيك إيجابي وممنهج في قراءته للنصوص الأدبية والفلسفية، في حين تفكيك **ديريدا** تفكيك سلبي يقوم على التضاد والاختلاف.وتشكيكفي الثوابت وفضح الإيديولوجية . فتغدو بهذا المعنى فلسفة **ديريدا** الممثلة في فلسفة النفي قريبة من فلسفة الفيلسوف الألماني **فريديكوليامنتشه** .

يعرف **تاديهجانإيف** التفكيك بقوله :"إن التفكيك تناول النص بحد ذاته وليس المؤلف ولا تاريخه (...)والموضوع يتعلق بتفكيك الوحدة الشكلية والتماسك البنيوي وكذلك الدلالة ." [3]

---

[1]-JAQUE DERRIDA ,DELAGRAMMATOLOGIE,PARIS,GE,1967.

[2]–سارة كوفمان ،روجي لابورت ،مدخل إلى فلسفة جاك ديريدا ،تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر ،ترجمة :إدريس كثير وعز الدين الخطابي ،إفريقيا الشرق ،ط2،1994م ،ص 13.

[3]–تاديه جان إيف ،النقد الأدبي في القرن العشرين ،ترجمة :منذر عياشي،دار الحاسوب للطباعة،حلب، ط1 ،1994م، ص421.

معنى ذلك أن التعريف يركز على النص في حالة تفكيكه وليس تركيبه ،فيأخذ بعين الاعتبار أنه لا توجد حدود فاصلة لدلالات النص ، فهو يتجاوز فكرة الهدم والتشريح والتقويض ،إنه قراءة ثانية للخطابات والنصوص والأنظمة الفكرية .[1]

أما **باختين** فقد قدم رؤية مستقبلية ،فأشار بقصد أو بدونه إلى التفكيكية إذ أنه ربط بين الكرنفال وبين الإبداع الأدبي بقوله :"أثناء الكرنفال تخضع الحياة لقوانينها فقط ...فلا توجد حياة خارج الكرنفال ".[2]

فباختين يتفق مع التفكيكية المعاصرة في ماهيتها بما يختص بفكرة الكرنفال وذلك أنها تخرج " ...كل شيء في التقاليد تقريبا وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة ،واللغة، والنص ،والسياق ، والمؤلف ، والقارئ ،ودور التاريخ ،وعملية التفسير، وأشكال الكتابة النقدية .وفي هذا المشروع فإن المادي ينهار ليخرج شيء فضيع ."[3]

وعن الناقد التفكيكي **ليتش** فإنه يلغي الثوابت في تحليل النص ،وهو ما يؤكد ما ذهب إليه **فرديناند ديسوسير** الذي " قدم البذور المبكرة الأولى للتفكيك حينما قال إنه لا توجد علاقة بالضرورة بين الدال والمدلول، ولكن أقصى طموحات اللغويين في هذه المرحلة المبكرة كانت تركز على تحقيق ذاتية اللغة ، واعتباطية العلامة على أساس أن اللغة ليست بشفافية ما قبل العصر الحديث ."[4]

فإذا كان **دوسيسور** قد قدم البذور الأولى للتفكيكية ،فإن **ديريدا** أعاد النظر في مقولات اللسانيين المشتملة على :(الدال ، المدلول)، (الصوت ، والكتابة) ، (السانكرونية ، والدياكرونية) ، (اللغة ، والكلام) ، (المحور الاستبدالي ، والمحور التركيبي) .

لقد قوض **ديريدا** لفلسفة الدال الصوتي الذي هيمن لسانيا على الثقافة الغربية لقرون ، والذي كان بمثابة ميتافيزيقا مثالية ، وبتعبير آخر :الصوت إشارة إلى حضور الذات ، والمعنى .والكتابة علامة العلامة ، وليست أداة للتعبير عن الفكر ، وعليه تكون الأسبقية للكتابة على الصوت .

هذه المقاربة ، ترتبط بالنص الذي لا يحيل إلى مدلول واحد بل إلى مدلولات متعددة ومختلفة . أي ليست هناك دلالة أحادية ، بل هناك اختلافات الاختلافات .

---

[1]-بسام قطوس ،استراتيجياتالقراءة ،التأصيلوالإجراءالنقدي ،مؤسسة حمادة والدار الكندي ،إربد ،ط1،1998م ،ص 22.

[2]-د.عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة ،ص 292

[3]-المرجع نفسه ،ص ص291،292

[4]- المرجع نفسه ،ص 302.

يرى **دوسيسور** أن العلامة تتكون من الدال والمدلول ، وأنه ليس هناك سوى مدلول واحد متفق عليه .في حين يخالفه **ديريدا** في كون المدلول متعدد ومختلف ومتناقض . ويعني هذا وجود دلالات محددة ومختلفة .بمعنى ليس هناك بداية ، وكل علامة تؤدي إلى علامة أخرى في شكل سلسلة مختلفة (متضادة ومتناقضة مع نفسها) . فعلامة العلامة هي الكتابة . وعليه يعلن **ديريدا** غياب الأصل والبداية ،فتتداخل بذلك النصوص ، وتتعدد معانيها .[1]

مما سبق ، نصل إلى أن التفكيكية منهجية لمقاربة الظواهر الفلسفية والتاريخية والأدبية ، تشريحا وتفكيكا وتقويضا . فهي ترتبط بتشريح اللغة ، والفلسفة ، والنصوص الأدبية . وهذا ما يمكن قوله باختصار عن ماهية التفكيك وتصوره النظري في مقاربة النصوص . ليصل بنا الحديث عن المنطلقات التي انطلق منها **ديريدا** في تأسيسه لإستراتيجية التفكيك .

2- الأصول المعرفية للتفكيك :

ظهرت التفكيكية في 1960م كرد فعل على البنيوية ، وهيمنة اللغة ،وتمركز العقل ، وهيمنة اللسانيات على كل الحقول المعرفة ، وأصبحت التفكيكية ابتداء من سنة 1970م منهجية نقدية أدبية في الثقافة الأنجلوسكسونية.وعليه نتساءل عن الأصول الفلسفية واللسانية للتفكيكية .

أ – الأصول الفلسفية للتفكيك :

قامت التفكيكية على مجموعة من الأصول والإرهاصات الفلسفية ، إذ اشتغل **دريدا** على الميتافيزيقا الغربية . والتي كان التفكيك ثورة عليها في تمجيدها للعقل بهدف الوصول إلى الحقيقة ."إلا أن ما تقره الفلسفة الحديثة هو أن القضاء على الميتافيزيقا يتطلب وضع حد لوعي الإنسان باعتبار أن هذا الوعي يجعل من نفسه مركز الكون (...) . فالميتافيزيقا تختزل الذات في الوعي ، في الأنا ضمير الحضور."[2]

كان هدف **ديريدا** تبديد فلسفة الحضور ، والقول بفلسفة الغياب أو بفلسفة الآخر المغاير .وهذا ما تدعو إليه الفلسفة الظواهرية **لهوسرل** في قراءتها للنصوص ، وإنتاج المعنى.[3]

---

[1]-نور الدين السعد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ،دار هومة ،ط3، 1993 م ،ص 29,/و/عبد الله الغذامي ،الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة لأنموذج إنساني معاصر ،مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية ،النادي الأدبي الثقافي ،جدة،ط1، 1985 م، ص 69.

[2]-عرفة عبد العزيز ،جاك ديريدا :التفكيك والاختلاف المرجأ ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، المركز القومي ،الكويت ،د ط ،1998 م ،ص ص 72،71.

[3]-نسيمة الغيث ،البؤرة ودوائر الاتصال ،دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها ،دار قباء ، القاهرة ، د ط ،2000 م،ص14.

لقد نقد **هوسرل** الميتافيزيقا التي ثارت عليها إستراتيجية التفكيك . منطلقا من أن العلامة عنده تحيل إلى دلالتين ، دلالة التغيير ودلالة الإشارة . فتصل الرسالة ،وتتعدد دلالتها وفقا لما يبلغه القارئ من إيحاءات وتأويلات.

على أنه الفصل بين دلالتين للعلامة اللغوية عند **هوسرل** اعتبره **دريدا** "عملا تعسفيا ساخرا لما حققه من نتائج ودلالات إيديولوجية (...) فهذا الفصل يقوم كما يرى **ديريدا** على ضرب من التمييز الأولي بين الافتراضات السيكولوجية المتمخضة عن محاكاة مناهج العلوم الطبيعية ، وبين ما يسعى **هورسل** إلى تأسيسه في صورة وقائع لغوية دقيقة ."[1]

ويذهب **ديريدا** إلى أبعد من ذلك في تفكيره في اللامفكر ضمن الميتافيزيقا ، فالعلاقة بين الحضور أو الوعي والصوت ، لم يتفطن إليها **هورسل** حيث : " لا يتأسس امتياز الحضور كوعي إلا بواسطة سمو الصوت ، إنها بديهية لم تحظ أبدا باهتمام الفينومينولوجيا ."[2] وعليه ظل **دريدا** منتقدا للفلسفة الغربية بعامة في تركيزها على سلطة الحضور .

ومن ناحية كذلك ، تأثر دعاة التفكيك بأفكار بعض الفلاسفة الوجوديين والمثاليين من أمثال : **هيدجرونيتشه** في اعتمادهما مبدأ الشك ، ورفض الأسس التي ترتكز عليها الحضارة الغربية . واعتبروا ما بعد الحداثة لعبة لغوية .[3]

لقد أخذ ديريدا مصطلح "التدمير " من فلسفة **هيدجر** ، ليتحول إلى كلمة التفكيك فيما بعد .[4] وفي هذا السياق تحدث **هيدجر** أيضا عن (المعرفة واللغة) ، (الغياب والحضور) ، (لانهائية المعاني والدلالات) ، (فلسفة الحضور) ، (التناص) ....

وهي المقولات التي اعتمدها **دريدا** بدوره للتأسيس لإستراتيجية التفكيك. فلو انطلقنا من ثنائية (الحضور والغياب)، فهي تعني أن الوجود لا يظهر حضوره إلا من خلال غيابه فـ " لا يتحقق الوجود إلا بالغياب "[5].

أما عن تأثر **ديريدا** بفلسفة نيتشه ، فتمثل في تبني فكرة موت المؤلف ، والتي ترتد إلى جذور فلسفية وإيديولوجية . لقد أعلن **نيتشه** مقولة موت الإله ، وبالمنطق نفسه أعلن دعاة التفكيك موت المؤلف ، وأعلن

---

[1]–محمد علي الكردي ،الصوت والتفكيك عند جاك ديريدا ،مجلة علامات ،المجلد العاشر،الجزء 40، جوان 2001م ،ص ص 108 ،109.

[2]سارة كوفمان ، روجى لابورت ، مدخل إلى فلسفة جاك ديريدا ،ص 15.

[3]نصر حامد أبو زيد، البحث عن مابعد الحداثة ،مجلة العربي ،العدد 506 ،يناير 2001 م ،ص 17.

[4]–د.عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة ،ص 301 .

[5]–المرجع نفسه ،ص 304.

الأدباء موت الشخصية في مجال الأدب .[1] ومثلما تأثر دعاة التفكيك بفكرة موت المؤلف ، تأثروا أيضا بمفهوم التناص، المتنقل بين اللغات الرمزية . فكل فلسفة تأخذ من معارف أدبية ولغوية مختلفة،لكن اللغة تتحول إلى لغات رمزية تؤدي دلالات مختلفة ومعان واحدة ، معروفة مسبقا لدى الجميع .[2]

هذا وقد تأثر **جاك ديريدا** في إرسائه لإستراتيجية التفكيك بأبي الوجودية **جونبول سارتر** فيتبنيه لقيمة الحرية،والتي ارتبطت بسلطة القارئ من خلال ولوجه إلى عالم النص من غير أن يقف أمامه سلطة المؤلف وأفكاره. وهنا نلحظ أثر الفلسفة الوجودية الممثلة في حرية القارئ في إنتاج المعنى وتعدده.[3]

نستشف مما سبق ذكره ، أن التأسيس للأصول الفلسفية للتفكيكية ، بدأت من الفلسفة الظواهرية **لهورسل** ،ثم أفكار **مارتن هيدجر** ،وصولا إلى أفكار **سارتر** ... كل ذلك حول أطروحة التفكيك من صورة نقدية إلى صورة فلسفية . ولم يتوقف التأثر بالفلاسفة بل تعداه إلى اللسانيين .وعليه نتحدث عن :

ب–الأصول اللسانية للتفكيك :

لقد تأثر **ديريدا** بأطروحات اللسانيين ، ويظهر هذا واضحا في القول بالعلاقة بين الدال والمدلول ، والتي اعتبرها دو سيسور علاقة اعتباطية غير معللة . فاقتفى التفكيكيون آثاره–كما سبق الذكر– في تركهم فراغا بين الدال والمدلول . فالدوال ترتبط بفكرة اللعب الحر الذي يؤدي إلى تحقيق مبدأ لانهائية الدلالة أو تعدد المعنى بتعدد طرقهم في اللعب والمراوغة .[4]

أما ما يقوله **دوسيسور** عن العلامة اللغوية :"إن العلامات التي تتميز بالاعتباطية المطلقة تحقق أكثر من غيرها العملية السيميولوجية ."[5] معنى ذلك أن السيميولوجيا هي العلم الذي يهتم بالعلامات ودلالاتها. هذه الدلالات المطلقة هي التي أرادها التفكيكيون للعلامة باعتبارها أداة للكشف عن المجهول ، وارتياد المطلق ،إنها العلامة التي تقاوم الانغلاق وتقبل أي تفسير .[6]

---

[1]عبد الحميد إبراهيم، نقاد الحداثة وموت القارئ ، المكتبة الوطنية ، دمشق ، سوريا،ط1،1996م،ص7.

[2]كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق ،ص 5.

[3]حبيب الشاروني ،فلسفةجونبولسارتر ،منشأة المعارف ،مصر ،ط1، 1996 م،ص 159.

[4]–كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق ،ص 8.

[5]–سيزا قاسم ،مدخل إلى السيميوطيقا (مقالات مترجمة ودراسات)،دار إلياس ، القاهرة ،ط1، 1991م،ص 176 .

[6]د.عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة ،ص 335.

أما المقولة الأخرى **لدوسيسور** ، والتي استفاد منها التفكيكيون هي مقولة الثنائيات الضدية ، وقد قابلوها بمصطلح الاختلاف . لقد كان المعنى عند البنيويين يتحقق من خلال الثنائيات الضدية ، وذلك بمقابلة الكلمة بضدها (خير،شر) ، (حياة ،موت) ...أما التفكيكيون فغيبوا المعنى عن طريق الاختلاف وتأجيل الدلالة .[1] لتبقى مقولة الاختلاف قاسما بين **دوسيسور وديريدا** مع العلم أن "اللغة تعتمد على الاختلاف (...) والاختلاف ينتظم في بناء المواجهة المتميزة حيث يتشكل تنظيمها الأساسي ،وحيث فتح **ديريدا** أرضا جديدة ،وحيث أخذ علم النحويات دوره إلى المدى الذي أصبح يضلل ، فإن ذلك أصبح يتضمن فكرة أن المعنى يختلف دائما (...) من خلال لعبة التعبير ."[2]

لقد استندت إستراتيجية التفكيك في قراءتها للنصوص والخطابات اللغوية على أطروحات الفلاسفة واللسانيين على حد سواء ، وتبلور في الحديث عن: الثورة على فلسفة الحضور ،والتمركز حول سلطة العقل، وفكرة التناص، وتعدد الدلالة عن طريق الاختلاف والغياب كذلك.

3–مرتكزات المقاربة التفكيكية :

تنبني المقاربة التفكيكية على مجموعة من المرتكزات النظرية والتطبيقية ممثلة في :

أ–الثورة على اللوغوس (العقل):

قامت فلسفة **ديريدا** على كل المدارس العقلية التي تشيد بالعقل والمنطق ، وتدعو إلى التقويض ،ويهدف **ديريدا** من وراء التمركز العقلي إلى :"تحطيم المركزية المعنية وجوديا بوصفها حضورا لا متناهيا ، جاعلا من هذه المقولة دليلا لنقد مفاهيم التمركز ،وهادفا إلى معاينة نظم المقولات المعتمدة على الحضور ، ويدعو إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز ، فالمركز لا يمكن لمسه في شكل الوجود ، بل ليس له خاصية مكانية ،كما أنه ليس مثبتا موضعيا وظيفيا ،إنه في حقيقة الأمر ،نوع من اللا مكان ، وبغيابه ، أو تقويضه ،يتحول كل شيء إلى خطاب ، وتذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفترضة أو المتعالية ، وينفتح الخطاب على أفق المستقبل دونما ضوابط مسبقة ،وتتحول قوة الحضور ،بفعل نظام الاختلاف ،إلى غياب الدلالة ."[3]

---

[1]–المرجع نفسه ، ص 337.

[2]– كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق ،ص39 .

[3]–د.عبد الله إبراهيم،التفكيك :الأصول والمقولات ، عيون المقالات ،الدار البيضاء ،المغرب، ط1، 1990 م ،ص ص 44،45 .

يعني هذا ،أن **ديريدا** مثله مثل **هايدجر ونتشه** في ثورتهم على العقل ،الذي سيطر لأمد طويل على التفكير الغربي،فاستبدله **دريدا** باللاعقل والاختلاف والتقويض. والتمركز العقلي الذي يرتبط بالحضور والانسجام ، وتمركز الدال الصوتي .....

ب– تقويض الميتافيزيقا

يقول **ديريدا** :"...إنهو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا–يقصد **مارتن هايدجر** – علمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة ، وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل (....) إن الميتافيزيقا ...ليست تخما واضحا، ولا دائرة محددة المعالم والمحيط ،يمكن أن نخرج منها ،ونوجه لها ضربات من هذا الخارج .ليس هناك من جهة ثانية خارج نهائي أو مطلق .إن المسألة مسألة انتقالات موضعية، ينتقل السؤال فيها من طبقة معرفية إلى أخرى ، ومن معلم إلى آخر ، حتى يتصدع الكل ، وهذه العملية هي مادة ما دعوته بالتفكيك[1]".

وبهذا يرفض **ديريدا** الميتافيزيقا الغربية المبنية على المنطق ، واللغة ، والحضور ،والتمركز العقلي .

ج–تقويض الكلية والانسجام :

يقول **ديريدا** :"أنا لا أتعامل والنص ،أي نص ،كمجموع متجانس .ليس هناك من نص متجانس ،هناك في كل نص – حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية – قوى هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص ،هناك دائما إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه ،وجعله يتفكك بنفسه ."[2]

د– الاختلاف :

يعد الاختلاف ميسما إيجابيا في منهجية **ديريدا** ، فالمعاني تعدد بتعدد الاختلافات .وعليه يساهم في إثراء اللغة والنص الأدبي أو الفلسفي .**فدو سيسور** ينطلق من أن للمدلول معنى متفقا عليه ،في حين يرى **ديريدا** أن معنى المدلولات مختلفة لا متناهية ومتعددة .فالاختلاف بحسب التسمية **الديريدية** سلسلة تتمتع كل حلقة منها باستقلالها النسبي ،ولكن تتكرر الحلقة المجاورة .يعني هذا أن الاختلاف يقوم على تلاشي المعاني ،وتعدد المدلولات...[3]

---

[1]–جاك ديريدا ،الكتابة والاختلاف ،ترجمة :كاظم جهاد ،دار توبقال ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1،1998م ،ص 47

[2]–المرجع نفسه ، ص 49.

[3]–المرجع نفسه ،ص 53.

هـ– الحضور والغياب :

ينبني الاختلاف على فلسفة الحضور والغياب ،بمعنى المدلولات تتعدد بالاختلاف ، فتحضر وحدات وتغيب أخرى في الوقت نفسه . وهذا يعني أن فلسفة التفكيك تنبني على التقويض وتشتيت المعاني .

و– التأويل المتناقض :

يستند الفكر التأويلي على الاختلاف والتناقض . فالتفكيكية تستعين بقراءة تقويضية همها الكشف عن التناقضات والاختلافات . ومن ثم فالقارئ هو الذي يمارس القراءة التفكيكية لاستكناه الدلالات المتناقضة . فلا يصبح للنص دلالة معينة داخله ،بل القارئ هو الذي يحلل النص في ضوء تجربته .إن قراءة النص هي نوع من اللعب الحر .فالنص لا يتحدث عن مرجعه أو عن نفسه ، بل تجربة القراءة هي التي تتحدث .فيغدو السياق العلم للنص لا أهمية له في التأويل لأن المقصود ليس الوصول إلى الحقيقة التي يتحدث عنها النص ،وإنما الهدف تحقيق المتعة . دون الأخذ بعين الاعتبار تأويلات أخرى .[1]

تأسيسا لما سبق ،نصل إلى أن المنطلق عند **ديريدا** في تحليله للنصوص الأدبية والفلسفية استكشاف الاختلاف واستكناه المعاني . فهو لا يعتبر التفكيكية منهجية لعدم خضوعها للتنظير ، فهي ترفض القواعد والبنيات الثابتة، والمقولات المركزية . لذلك يهدف التأويل التفكيكي إلى استكشاف الاختلاف الذي ينبني على :

– رصد مظاهر الاختلاف والتقويض .

– تعيين العناصر المهمشة والبنيات المقصية .

–دراسة العناصر المهمشة بآليات تفكيكية من أجل استكشاف مظاهر الاختلاف والتناقض والتضاد .

–إقصاء الخارج النصي (مؤلف ،سياقات خارجية مختلفة ....) .

–الاهتمام بالتناص والتكرار وتداخل النصوص .

–ممارسة لغة التشكيك والتقويض والتشتيت والاختلاف.

–الانتقال من الدلالات الصريحة الظاهرة إلى الدلالات الإيحائية المتضمنة .

–استعمال المصطلحات والآليات الإجرائية:كالتشريح ، والتفكيك ،والتقويض ، والتشتيت،والتعرية، والهدم ،والبناء ،....

[1]–د.مفتاح محمد ،مجهول البيان ،دار توبقال ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط 1،1990 م ،ص ص 101 ،102.

-تعتمد التفكيكية على القراءة الداخلية للنصوص والخطابات لاكتشاف الأجزاء المخفية والمهمشة في نص أو خطاب .[1]

وعليه ، تقوم التفكيكية على خطوتين إجرائيتين هما :

1-التفكيك التشريحي القائم على رصد الاختلافات والمتناقضات .

2 -إعادة البناء والتركيب عن تقويض الدلالات وتشتيتها.

4-التفكيكية بين كتابات النقاد الغربيين والنقاد العرب :

من أهم رواد التفكيكية في العالم الغربي نستدعي :

مارتن هايدجر ، ونيتشه ، وجاك ديريدا ، ورولان بارت، وجوليا كريستيفا،...

أما عن التفكيكيين العرب :

ففي مجال الفلسفة يمكن الحديث عن :

ادوارد سعيد في كتابه :الإستشراق ، ومحمد أركون في كتابه: الفكر الإسلامي ، وعلي حرب في كتابه :نقد النص ...

وفي مجال الأدب والنقد نذكر :

عبد الله الغذامي في كتابه : الخطيئة والتكفير :من البنيوية إلى التشريحية.

عبد العزيز حمودة في كتابه :المرايا المحدبة :من البنيوية إلى التكوينية .

عبد المالك مرتاض في كتابه : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ؟

5- إشكالاتالتفكيك:

لقد تراجعت التفكيكية ، وأصبحت أقل شهرة ، وهذا نتيجة المزالق الخطيرة التي وقعت فيها سواء على المستوى النظري أو الإجرائي .وما يدعم هذا الكلام تصريحات النقاد الغربيين أنفسهم لا سيما المؤسسين لإستراتيجية التفكيك .

[1]-د.محمدأركون ،الفكرالإسلامي :قراءة علمية ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ،بيروت ، لبنان ،د ط ،1987م،،ص10.

فما وجهه **جاكديريدا**من انتقادات للتفكيكية تأتي في طليعة الانتقادات.فهو أقر بمبدأ اللعب الحر للعلامة، والذي يقودنا للحصول على العديد من المعاني والقراءات . يضاف إلى ذلك أن التفكيكية تفتقر إلى معايير منهجية وهنا ما أدى به إلى القول :"ليس التفكيك منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج، خصوصا إذا ما أكدنا في هذه المفردة على الدلالة الإجرائية (...) إن التفكيك ليس بأي حال تحليلا ، ولا نقدا ..."[1]

فما ذهب إليه **دريدا**هومناقض لمفهوم النقد المرتبط بمعايير الضبط المنهجي .فلا يكون نقدا إلا إذا امتثل إلى مقولات المنهج ومبادئه . وهذا ما ترفضه التفكيكية . فطرح هذا مشكلة التسمية أو الاصطلاح.وتجلى ذلك في أطروحات النقاد بين مؤيد ومعارض .

فيرفض **ديريدا** أن تتحول التفكيكية إلى منهجية أو طريقة نقدية لقراءة الأدب ، لكن التفكيكيين في الولايات المتحدة الأمريكية حولوها إلى طريقة في التأويل النقدي ، وقراءة النصوص الأدبية كما هو الحال عند:**بولدومان**.وهذايؤكد على أن نقاد التفكيك ،فهموا التفكيك من زوايا مختلفة تدور على التشريح،والتقويض، والتدمير، وهذا يدل على أن كل ناقد يتعامل مع التفكيك حسب ما يراه هو، وليس كما يجب أن ينظر إليه . معنى ذلك لا توجد قواعد ينتهجها الدارس ليقيم مقاربة تفكيكية .

يقول **ليتش** :"إنالتفكيكيةباعتبارها صيغة لنظرية النص تخرب كل شيء في التقاليد تقريبا ،وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة، واللغة ،والنص ،والسياق ،والمؤلف، والقارئ ،ودور التاريخ ،وعملية التفسير، وأشكال الكتابة النقدية ."[2]

فالتفكيكيون هم السبب الوحيد لأزمة الدراسات النقدية ، فهم يتصورون المؤسسة الأدبية ، وقد تحولت إلى كرنفال تختفي فيه الحدود التي تميز بين شيء وآخر .[3]

يختلف مصطلح التفكيكية عند **ديريدا** ، عن مفهوم التفكيك عند البنيويين. فهو عندهم إيجابي يحترم الثوابت المرتبطة بالعقل والمنطق . في حين يرتبط التفكيك عند **ديريد** ابالهدم والتقويض والتشتيت، وبالدلالات المختلفة.فيقول :"إن صعوبة تحديد مفردة التفكيك . وبالتالي ترجمتها، إنها تنبع من كون جميع المحمولات وجميع المفهومات التحديدية وجميع الدلالات المعجمية ،وحتى جميع التمفصلات النحوية التي تبدو في لحظة معينة وهي تمنح نفسها لهذا التحديد وهذه الترجمة،خاضعة هي الأخرى للتفكيك(...) وهذا يصح على كلمة التفكيك.."[4]

---

[1]–جاك ديريدا ، الكتابة والاختلاف ،ص 61.

[2]د.عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة ، ص 292،191.

[3]المرجع نفسه ، ص 292.

[4]جاك ديريدا ، الكتابة والاختلاف ،ص 62.

لقد تركزت المناقشات المعارضة للتفكيكية في معظمها على اللغة ، والبداهة ،وانطلاقا من ذلك لعب الفيلسوف **لودفيحو يتجنسون** دورا كبيرا في دعم هذا المنطلق كونه ينطلق من الفلسفات اللغوية التشكيكية التي تستند إلى جذور معرفية ،تدفع المرء إلى البحث عن التطابق بين اللغة والعالم. وفلسفته في اللغة تشمل موقعا معاديا للاستخدامات التفكيكية ،وحديثنا عن العالم مسألة اصطلاحات ضمنية ،ومن وجهة نظر **ويتجنسون** فهناك خطأ فكري مستمر في النظرية النصية ما بعد السويسرية .(ظاهرة مراوغة للفصل بين الدال والمدلول).[1]

ليس ما عرض من رأي التفكيكيين الغرب على وجه الحصر .والإشكال أيضا طرح عند النقاد العرب المعاصرين في امتعاضهم من إستراتيجية التفكيك .والتي تعلن موت المؤلف ، وبذلك يغتال المعنى الإنساني للنص الأدبي .وعبر "**ادواردسعيد**" عن امتعاضه بقوله :"إن الإنسان عند فوكو لم يعد ذاتا متماسكة وإنما قد أذيب متحولا في النهاية ليس إلى أكثر من فاعل ، إلى ضمير المتكلم اللغوي ولا يمكن تحديد ثبوته في سبيل الخطاب الجاري ."[2]

في هذا السياق، تبدأ التفكيكية بالتقوقع والتراجع المعلن من قبل النقاد العرب .فـ"**بسامقطوس** " يرفض القراءة التفكيكية والتي هي محاولة من القارئ لاستبطان مدلولات الدوال في بنيتها اللامتجانسة ،وبعد إطلاق العنان للعب الحر للكلمات ، وهذا ما رفضه بقوله :"إن القراءة التفكيكية ،وإن كانت آلياتها وإجراءاتها وأجهزتها الاصطلاحية والمفهومية واحدة ،إلا أنها سيف ذو حدين ، إذ يمكن لهذه القراءة أن تفضي إلى نتائج ليست مختلفة فحسب ،بل ومتناقضة أيضا ."[3]

أدى ذلك إلى وضع القارئ في حيرة دائمة ،نتيجة للعدد اللامتناهي للمعاني وهذا عكس ما نادى به **ديريدا** فيقتله لكل قراءة سابقة ، إنها :" لا قراءة أو إساءة ،وكأنه يدعو إلى نقض النص نفسه وإلغاء سلطته ، مهما يكن غنيا أو قابلا لتأويلات شتى وقراءات كثيرة ،ومثلما لا يسلم النص نفسه بسهولة ، لما يكتنزه في داخله من إيحاء ورمز ولمح وتصوير ،لا يظهر إلا القارئ العارف لقوانين اللعبة الفنية .كذلك فالنص مغاير لأي تفسير ."[4] بهذا المعنى تتجاهل التفكيكية طاقة النص وإيحاءاته ودلالاته .

إن ما تقدم من إشكالات على سبيل التمثيل لا الحصر .

---

[1]–كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق ،ص ص 132،131

[2]–ميجان الرويلي ، قضايا نقدية مابعد البنيوية ، النادي الأدبي ،الرياض ، ط 1، 1992 م ،ص 157.

[3]–بسام قطوس ،إستراتيجيات القراءة ،ص 32.

[4]–المرجع نفسه ، ص 32 .

يتبين لنا مما ذكر ، أن التفكيكية منهجية تشريحية في القراءة ، والتأويل ، وتحليل الخطابات، واستقراء المعاني المضمرة . فيتسنى الكشف عن القيم السائدة وتفكيكها تقويضا وتضادا . وبين الاختلاف والتناقض تتجلى مفارقة التفكيكية لفضح الإيديولوجية ،وتفكيك الشفرات ، والخطابات الفلسفية والأدبية وغيرها .

بين الإيجاب والسلب ، تشكك التفكيكية من أجل الشك والتقويض والهدم ،وتسعى إلى إزاحة الثوابت والمقولات المركزية ،والتشتيت التقويضي .

يضاف إلى ذلك ، أنها لا تعترف بخارج النص من مؤلف وسياق ، وقارئ ، وعقل ، وحقيقة ،... إنها ممارسة للرفض ، والعدمية ، والاختلاف ،والهدم والتضاد ،... فينهار الواقع ، ويتفكك النص الذي يخوض ضد نفسه حربا : تآكلا وتضادا واختلافا .ومنه فنحن بحاجة إلى منهجية تتضمن حديثا عن البناء والتأسيس.

نصل إلى : أيهما يسبق الآخر ، ويسهم في تأسيسه وتشكيله وحتى توجيهه : الفكر والتنظير ، أم الواقع والممارسة ؟ فهذا السؤال ليس مطروحا من أجل إرساء مبدأ فلسفي لفلسفات مادية أو براجماتية أو مثالية وروحية. بل الهدف أبسط من ذلك : إنه سعي إلى فهم لحظة تاريخية توازنت فيها الممارسات لتجسد قالبا فكريا تبنته التفكيكية بين ماهو نظري وفكري ، وبين ماهو واقع وممارس .

بتعبير آخر:ظاهرة التفكيك أعلنت عن نفسها برؤى وتنظير وفكر.ووصلت إلى ممارسة لها مكانة دون أطر ونظريات.وعليه تبقى أزمتا التنظير والممارسة لا تخص التفكيكية فحسب ،بل تتعداه لتمت بصلة لكل مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء .

هوامش:

أ/المراجع العربية:

1-بسام قطوس ،استراتيجيات القراءة ،التأصيل والإجراء النقدي ،مؤسسة حمادة والدار الكندي ،إربد،ط1، 1998م.

2-حبيب الشاروني ،فلسفة جونبول سارتر ،منشأة المعارف ،مصر ،ط1، 1996 م.

3-سيزا قاسم ،مدخل إلى السيميوطيقا (مقالات مترجمة ودراسات)،دار إلياس ، القاهرة ،ط1، 1991م.

4-عبد الحميد إبراهيم،نقاد الحداثة وموت القارئ ، المكتبة الوطنية ، دمشق ، سوريا،ط1،1996.

5-عبد العزيز حمودة ،المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية ،عالم المعرفة ، الكويت ، د ط،نيسان ،1998م.

6-عبد الله إبراهيم،التفكيك:الأصول والمقولات ، عيون المقالات ،الدار البيضاء ،المغرب، ط1، 1990م

7- عبد الله الغذامي ،الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ،قراءة لأنموذج إنساني معاصر ،مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية ،النادي الأدبي الثقافي ،جدة ،ط1 ،1985 م .

8-مفتاح محمد ،مجهول البيان ،دار توبقال ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط1990،1 م .

9-ميجان الرويلي ، قضايا نقدية مابعد البنيوية ، النادي الأدبي ،الرياض ، ط 1، 1992 م.

10-نسيمة الغيث ،البؤرة ودوائر الاتصال ،دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها ،دار قباء ، القاهرة ، د ط ، 2000 م.

11-نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ،دار هومة ،ط3، 1993 م .

ب/المراجع المترجمة:

1-تاديه جان إيف ،النقد الأدبي في القرن العشرين ،ترجمة :منذر عياشي،دار الحاسوب للطباعة،حلب،ط1 1994م.

2-جاك ديريدا ،الكتابة والاختلاف ،ترجمة : كاظم جهاد ،دار توبقال ،الدار البيضاء ، المغرب،ط1 ،1998م.

3-سارة كوفمان ،روجي لابورت ،مدخل إلى فلسفة جاك ديريدا ،تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر،ترجمة: إدريس كثير وعز الدين الخطابي ،إفريقيا الشرق ،ط2، 1994م .

4- كريستوفر نورس ،التفكيكية بين النظرية والتطبيق،ترجمة :رعد عبد الجليل جواد ،دار الحوار ،سوريا ط1، 1992م.

5-محمد أركون ، الفكر الإسلامي :قراءة علمية ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ،بيروت،لبنان دط، 1987 م.

المجلات:

1-عرفة عبد العزيز ،جاك ديريدا :التفكيك والاختلاف المرجأ ، مجلة الفكر العربي المعاصر،المركز القومي، الكويت ،د ط ،1998 م.

2-محمد علي الكردي ،الصوت والتفكيك عند جاك ديريدا ،مجلة علامات ،المجلد العاشر،الجزء 40، جوان 2001م .

3-نصر حامد أبو زيد،البحث عن مابعد الحداثة ،مجلة العربي ،العدد 506 ،يناير 2001 م .

ج/المراجع الأجنبية:

-JAQUE DERRIDA ,DELAGRAMMATOLOGIE,PARIS,GE,1967.[1]